العصر العباسي الثالث
عصر النفوذ البويهي
(334 -447 هـ / 946 -1055 م)

ظهور البويهيين

يرجع اصل البويهيين إلى الديلم الذين استوطنوا المنطقة الواقعة بين طبرستان والجبال وجيلان و بحر الخزر وجزء من أذربيجان وبلاد الران من جهة الغرب وكانوا يدينون بالوثنية في باديء امرهم، ثم انتشر الإسلام بينهم في بداية القرن الرابع الهجري على يد الحسن بن علي الزيدي الملقب بالاطروش .

وقد ارجع بعض المؤرخين نسبب البويهيين الى سابور ذي الأكتاف ، في حين نسبهم البعض الآخر إلى قبيلة ضبة العربية. والواقع أن البويهيين هم قبائل فارسية تتكلم اللغة الفارسية بلهجة محلية، ولا صلة لهم بالعرب. ويبدوا أن هؤلاء المؤرخين اضفوا على البويهيين نسبا عريقا لرفع مكانتهم بعد أن تم لهم السيطرة على اجزاء كبيرة من العالم الاسلامي وبسطوا نفوذهم على دار الخلافة

وكانت الأسرة البويهية تتكون من اخوة ثلاث هم :- علي والحسن واحمد أبناء أبي شجاع بويه بن فناخسرو، وكان بويه هذا رجلا من عامة الناس، يتعيش من صيد السمك بناحية بحر قزوين من بلاد الديلم وعمل أبناؤه جنودا في جيش القائد الديلمي (ماكان بن كاكي)، وقد أتاحت لهم مواهبهم العسكرية الوصول الى مراكز هامة في جيشه.
وكان ولاء الجند في مثل هذا النظام للقائد الذي يتولى الانفاق عليهم، وجرت العادة أن ينتقل هؤلاء الجند من خدمة رئيس الى خدمة اخر، حسب الظروف الاقتصادية المرتبطة بكثرة الغنائم وقلتها، فلما ضعف أمر (ماكان بن كاكي) على أثر هزيمته امام (مرداويج زيار الديلمي) وعجز نوعا ما عن ضمان الارزاق للجند تفرق عنه كثير من أصحابه، ومنهم علي بن بويه واخوته، وطلبوا السماح لهم بالانتقال إلى خدمة (مرداويج)، فتم لهم ذلك، ورحب مرداويج بهم، واغدق عليهم الأموال، وولى عليا بن بويه حكم بلاد الكرج الواقعة بين همدان وأصبهان .

غير ان مرداويج ما لبث أن ندم على تولية على بن بويه بلاد الكرج، فكتب إلى اخيه وشمكير في الري وإلى أبي عبد الله الحسين بن محمد الملقب بالعميد يأمرها بصرف أولاد بويه ومنعهم من الوصول الى بلاد الكرج، الا أن رغبة مرداويج هذه لم تتحقق، اذ تمكن علي بن بويه من الوصول إلى مقر عمله بمساعدة أبي عبد الله نفسه ، واستقر في حكم البلاد، واظهر كفاءة ومقدرة في تصريف الأمور، وأحسن إلى أهلها فحظي بتأييد الجند ومال الناس اليه .

الا أن عليا بن بويه لم يلبث أن فارق بلاد الكرج بعد أن جبي ضرائبها لمدة عام كامل، وسار نحو الجنوب واستولى على اصبهان سنة (321 هـ) بعد انتصاره على ابي الفتح ياقوت عامل العباسيين على المدينة ، وقد زادت تحركات ابن بويه هذه من مخاوف مرداويج فصمم على القضاء عليه، وأنفذ إليه جيشا بقيادة أخيه وشمكير وكانت سياسة بويه في هذه المرحلة تقضي بعدم الاشتباك مع قوات مرداويج وبالابتعاد عن متناول يده قدر الإمكان، ولذلك فانه ما أن سمع بتحرك جيش وشمكير نحوه حتى انسحب من اصبهان متجها نحو أرجان فدخلها في ذي الحجة من عام 321 هـ من غير حرب بعد أن هرب اميرها (ابو بكر بن ياقوت)، وشرع بجباية ضرائبها التي بلغت ألفي الف درهم، ثم فارقها خوفا من اجتماع مرداويج واخيه وشمكير على حربه، وتوجه إلى مدينة اصطخر وانتصر على المظفر بن ياقوت، وتمكن بعد ذلك من الاستيلاء على شيراز بعد أن خاض معركة عنيفة في سنة 322 هـ

اتصال البويهيين بالخلافة العباسية

اقام علي بن بويه فترة في شيراز، انصرف خلالها إلى تنظيم اموره المالية، وتدعيم نفوذه في البلاد، ثم تطلع للحصول على تفويض الخلافة واعترافها بشرعية حكمه، فأرسل الى الخليفة الراضي (322 - 329 هـ) . يلتمس التفويض بالحكم، وتعهد بدفع مبلغ ثمان مائة مليون درهم إلى دار الخلافة في كل عام. وكانت ظروف الخلافة آنذاك سيئة وحاجتها إلى المال شديدة، فلم يتردد الخليفة بالموافقة على طلبه وارسل اليه الخلع ومنشور التفويض مع احد رسله، واوصاه بأن لا يسلم ابن بويه شيئا حتى يقبض المال المتفق عليه، فلما وصل رسول الخليفة شيراز خرج على بن بويه لاستقباله وأخذ الخلعة، وقرأ على الناس تفويض الخليفة واعترافه بحكمه على البلاد، غير انه ماطل في دفع الأموال واستبقى رسول الخليفة عنده حتى ادركته الوفاة في شيراز سنة 323هـ .

وكان لحصول ابن بويه على تفويض الخلافة واعترافها، أثر بالغ في نفس مرداويج الذي ثارت ثائرته، وعزم على القضاء على نفوذه، فانفذ جيشا كبيرا إلى منطقة الأحواز، ليقطع بذلك الطريق على ابن بويه في الوصول إلى بغداد، وقد تمكن هذا من تحقيق هدفه، فاستولى على الاحواز، فأثار ذلك مخاوف على بن بويه، وادرك أن مصلحته في هذه الظروف تقضي الاتفاق مع مرداويج وعدم التورط معه بحرب جديدة، فعرض عليه في مرونة سياسية أن يدخل في طاعته ويكون تابعا له في حكمه ويخطب باسمه في بلاده، واثباتا لحسن نيته ارسل علي بن بويه اخاه الحسن بن بويه ليكون رهينة عنده على الوفاء .

غير أن مرداويج لقي مصرعه بعد فترة قصيرة على يد جماعة من الاتراك الذين كانوا يؤلفون جزءاً من جيشه، بسبب سوء معاملته لهم وتفضيله الديلم عليهم وذلك في سنة 323 هـ وتفرق كثير من جند الديلم بعد مع مرداويج بن زيار، وانضم فريق منهم إلى علي بن بويه، واتفق من بقي منهم على طاعة وشمكير بن زيار، وقد إتاح مصرع مرداويج للبويهيين تحقيق أهدافهم التوسعية، فاستولوا على اصبهان والري، ودخل احمد بن بويه الأحواز سنة 326 هـ على الرغم من المقاومة التي قوبل بها في هذه المنطقة، وبسط البويهيون نفوذهم على بلاد فارس والاحواز والري واصفهان وهمذان وشمال العراق (اقليم الجبال) .

وتطلع احمد بن بويه إلى الاستيلاء على بغداد، وكانت أحوال الخلافة انذاك مضطربة على أثر الخلاف الذي قام بين الخليفة المتقي واامير الأمراء توزون التركي، فشرع احمد بن بويه في مهاجمة أملاك الدولة العباسية في سنة 332 هـ، ووصل إلى ديالى واصبح على مشارف بغداد، الا أن توزون ما لبث أن تصدى له ودارت معركة كبيرة على ضفاف نهر ديالى استمرت بضعة عشر يوما، وانتهت بهزيمة أحمد بن بويه في اليوم (الرابع من ذي الحجة سنة 322 هـ) ، غير أن الظروف لم تلبث ان سنحت للبويهيين بدخول بغداد، على أثر وفاة الأمير توزون في سنة 333 هـ ، وتولي كاتبه (ابن شيرزاد) منصب امير الأمراء .
فقد عم الاضطراب نواحي العراق في عهد الخليفة المستكفي، وعمد جماعة من أمراء الجند الى مراسلة احمد بن بويه يطلبون اليه المسير الى بغداد، فرحل عن الاحواز، ودخل بغداد في (الحادي عشر من شهر جمادى الآخرة من سنة 334هـ) ، فاحتفى الخليفة بقدومه، وخلع عليه، فبايعه أحمد بن بويه وحلف له باغلظ الإيمان، كما حلف المستكفي لاحمد واخويه وكتب بذلك كتابا، وعقد له لواء امرة الامراء ولقبه (معز الدولة)، كما لقب اخاه عليا عماد الدولة) واخيه الحسن (ركن الدولة)، وامر ان تنقش القابهم وكناهم على الدنانير والدراهم وما أن استتب الأمر لمعز الدولة البويهي في بغداد حتي استأثر بالسلطة دون الخليفة، ووضع يده على جميع أملاكه، وخصص له راتبا قدره خمسة آلاف درهم في كل يوم .

ثم لم يلبث أن آمر بقطع هذا الراتب وحدد له اقطاعات ليسد منها نفقاته ، ثم اظهر البويهيون ما كانوا يضمرونه لخلفاء بني العباس فعمدوا إلى خلع المستكفي في جمادي الآخرة من سنة 334 هـ، واعتقلوه بدار معز الدولة بعد ايام قليلة من دخولهم بغداد، وبايعوا أبا القاسم الفضل بن المقتدر الذي لقب (بالمطيع) ، وأحضر المستكفي فشهد على نفسه بالخلع وسلمت عيناه، وظل معتقلا حتى توفي في ربيع الآخرة من سنة 338 هـ .

سقوط البويهيين

لم يلبث البويهيون أن تعرضوا إلى الانقسام والتنازع بعد عصر الأمراء الأوائل الذين حافظوا على وحدة الأسرة وتدعيم نفوذها، فقد تنازع ابناء عضد الدولة على الحكم حتى استقرت الأمور بيد بهاء الدولة. ثم تفجر الصراع ثانية بين أولاده، سلطان الدولة ومشرف الدولة وجلال الدولة، وبدأ البويهيون يسيرون بخطى سريعة نحو الاضمحلال بسبب الحروب التي اندلعت بين أفراد هذه الأسرة من جهة، وانصرافهم عن مواجهة أعدائهم في الخارج من جهة أخرى، فسقطت دولتهم على يد السلاجقة في سنة 447 هـ، حين دخل طغرلبك بغداد وقبض على اخر ملوكهم وهو الملك الرحيم (أبو نصر خسرو فيروز) وارسله مقيدا إلى الري، واسقط اسمه من الخطبة في آخر رمضان من السنة المذكورة ، وأسدل الستار بذلك على الدولة البويهية لتحل محلها الدولة السلجوقية.